رسالة من السعودية والأزهر.. العالم يتغير

أوراق حرة
أحمد جمعة
e-mail:
aljumma@hotmail.com

الأمر الملكي بإعفاء الشيخ الشثري عضو هيئة كبار العلماء من منصبه لخروجه على الاجماع في التطلع لعالم يحكمه العلم والتسامح والاعتدال. رسالة لنا جميعاً بأن العالم تغير عن النظرة القديمة لتحكم رجال الدين في أعناق البشر وتوجيه الحكومات انتهى.

والقرار الذي أصدره شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي بمنع النقاب في معاهد الأزهر ويقضي بحظر ارتداء النقاب داخل المعاهد رسالة لنا أيضاً من اكبر هيئة دينية في العالمين العربي والاسلامي، فلا احد يزايد على الأزهر وعلى شيخ الأزهر من أولئك حديثي التخرج من المدارس الدينية، والرسالة مفادها ان العالم تغير والتسامح والاعتدال هو السائد. فوز أربع نساء فاضلات من الكويت الشقيقة القريبة منا في الدخول الى البرلمان بعد التوجه المعادي والذي جعلنا نعتقد ان الكويت لاحقة بطالبان هو ايضا رسالة لنا بأن العالم تغير ولم يعد حكراً على التشدد والتعصب ولغاء الآخر والاكتفاء بالرهان على تيار سائد يفرض شروطه على الدولة. لا أريد الاسترسال في القرارات والأوامر الملكية والرئاسية والأميرية والسلطانية التي تتلاها كل ساعة وتشير الى ان العالم فعلاً تغير وان النظرة الى الكون لابد ان تكون جديدة بعد التحولات التي يشهدها العالم، ففي عصر الأزمات المالية الدولية وفي ظل الأمراض الدولية التي تنتشر وتفتك بالدول وليس بالافراد ومع تزايد الاحتباس الحراري، كما يقال كل هذه دفعت الكثير من الأمم والشعوب الى اعادة النظر في طريقة حياتها ونظام تفكيرها واسباب سعادتها التي لم تعد تأتي من رجل دين او نصاب او محتال يحاول بيع الدين في السوق والثراء على حساب البؤساء من عباد الله الذين وقعوا في طريق هؤلاء الدين يتاجرون بالدين او يرجوه لارهاب الناس وارهاب الانظمة السياسية المترددة.

ان في الأمر الملكي السعودي بإزاحة احد اعضاء هيئة كبار العلماء وفي قرار شيخ الأزهر بمنع النقاب في المعاهد التابعة له هذه القرارات تعكس ولا شك الرغبة في الابتعاد كثيرا عن منابع التطرف وتحدد مسار الدول التي ترغب في الخروج من دائرة الظلمة. لقد تجرأ الشيخ الشثري على كل القيم والمبادئ الانسانية التي تدعو الى التسامح والانفتاح على العالم بالتهجم على الجامعة الجديدة وهي الصرح العلمي الذي افتتحه خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وكانت بمثابة انطلاقة حضارية للمملكة العربية السعودية بوجود صرح جامعي ينفتح على العصر ويبدأ برؤية العالم كما هو منذ أكثر من ثلاثة قرون، وقد وضعت هذه الجامعة اللبنة الاولى في التاريخ الجديد الذي تكتبه السعودية اليوم بقيادة خادم الحرمين الملك عبدالله، وتصدت كافة المؤسسات الوطنية والصحافة ورجال الفكر وكافة الشرائح الوطنية في المملكة لتصريحات الشيخ الشثري التي تهجم فيها على الجامعة من خلال تصريحاته لقناة المجد وهي من المناير التي تشجع على التشدد، قرار مثل هذا يدفعنا لتلقي الرسالة التي يمثلها هذا القرار مع قرار شيخ الازهر وبقية الإشارات التي تبعث على التفاؤل بأن العالم قد تغير.

ماليزيا وإندونيسيا: من الحرب الأيديولوجية إلى الحرب الثقافية

عبدالله المدني
e-mail:
elmadani@batelco.com.bh

لا تقتصر الحروب والصراعات ما بين الأمم حول الحدود والأراضي والمياه فقط. فأحيانا تتعداها لتدور حول أشياء من تلك المدرجة ضمن الفنون والتراث والأطباق. حدث ذلك ما بين إسرائيل والعرب حينما نسبت الأولى إلى نفسها أطباقا أو رقصات أو أزياء شامية وفلسطينية. وحدث الشيء ذاته ما بين الأمريكيين والإيطاليين حينما ادخل الأمريكان البيتزا والباستا الإيطاليتين ضمن مطبخهم التقليدي. وفي بريطانيا استولى الانجليز على طبقي البريانى والكاري الهنديين و نسبوهما إلى أنفسهم. أما في الخليج فحدث ولا حرج. حيث ساهم التواصل الحضاري منذ أقدم الأزمنة والعصور ما بين الهنود وأهل الخليج في دخول العديد من الأطباق الهندية كالسبوسة والبريانى والقيمة إلى المطبخ الخليجي، بل وتأثرت أيضا الفنون والملوس والأنغام الخليجية بمثيلاتها في الهند، ناهيك عن وجود عدد لا يحصى من المفردات ذات الأصل الهندي في اللهجة الخليجية الدارجة.

على أنه في مختلف تلك الحالات لم تصل الأمور إلى حملات إعلامية منهجة أو حملات مضادة مكلفة للادعاء بأحقية كل طرف في ما اقتبسه من الآخر، وإنما بقيت الأمور في دائرة التناقض الصامت.

سبب تطرقنا اليوم للحديث عن هذا الموضوع، هو ما يدور منذ بعض الوقت في اندونيسيا وماليزيا من حرب إعلامية متبادلة، وذلك على اثر قيام منظمة اليونسكو في 8 سبتمبر الماضي بإدراج فن "الباتيك" ضمن قائمة التراث الثقافي غير المادي المنسوب حصريا لاندونيسيا. وتذبيت الأمر رسميا في الاجتماع الختامي للجنة الحفاظ على التراث غير المادي الذي انعقد في ابوظبي في أوائل الشهر الجاري. وقيام الرئيس الاندونيسي "يودويونو" بدعوة مواطنيه في 2 أكتوبر الى ارتداء ملابس الباتيك تعبيرا عن الفرح والزهو بهذا الانتصار (الذي جاء بعد انتصارين ثقافيين سابقين ونعني بهما قرار اليونيسكو في عام 2003 بإدراج فن ظلال العرائس التقليدي وفن الرقص المتموج بالخنجر ضمن لائحة التراث الانسوني غير المادي الواجب حفظه من الاندثار). هذا علاوة على دعوة الرئيس يُودويونو لرجال الأعمال الاندونيسيين إلى تكثيف جهودهم لزيادة صادرات البلاد من أقمشة الباتيك ولا سيما إلى أمريكا وأستراليا و أوروبا حيث يوجد إقبال كبير عليها. والباتيك لمن لا يعرفه هو فن صباغة النسيج يدويا بواسطة أختام مصنوعة من الشمع وبتقوش مستوحاة من التراث الفني والتاريخي لآسيا، وهو لمن كان شائعا في مختلف أقطار جنوب شرق آسيا وتحديدا في ماليزيا وتايلاند وسنغافورة وبروناي.

فان موطنه الأصلي هو إندونيسيا، حيث يعتبر الباتيك المصنوع في جزيرة جاوه هو الأغلى ثمنا والأكثر تميزا. وان ادعت الهند بأنها هي الموطن الأساسي للفن انطلاقا من الرسوم المصاحبة له والتي تعكس كلها أساطير هندوسية وبوذية قديمة.

ورغم أن قرار اليونيسكو لا يعني منع الدول الأخرى من صناعة أقمشة الباتيك، وإنما يهدف أساسا إلى حماية هذا الفن من الانتشار والمحافظة على تقنياته اليدوية التقليدية بعدما تدخلت المكائن الحديثة فيه، ولا سيما في الصين، فان الاندونيسيين اعتبروا الأمر انتصارا لهم على جيرانهم الماليزيين الذين بحسبهم لطالما نازعوهم الأحقية في ملكية أشياء كثيرة ابتداء من الأراضي في ولاية بورنيو، و حقول النفط في منطقة "أمبالات"، والمنتجعات في سيبادان وليجيتان (خسرتهما اندونيسيا لصالح ماليزيا بعد أن قدمت الأخيرة أدلة على تعميرها و الاستثمار فيها) وانتهاء بفنون الرقص الفلكلوري (مثل رقصات بندبت التي تمارس في جزيرة بالي للترحيب بالضيوف ورقصة "ريوغ برونوروغو" ذات الأصل الجاوي، ورقصة "راساياناً" المرتبطة بإقليم الملوك، وهذه الرقصات الثلاث استخدمتها ماليزيا للترويج لنفسها سياحيا بحسب ما ظهر في برنامج تلفزيوني دعائي على شاشة قناة فوكس الأمريكية)، وآلة "انغلونغ" الموسيقية المصنوعة من البامبو، وطبق "لاكسا" المكون من النودل والبهارات الحارة.

أما ردة فعل كوالالامبور التي لم تسع لدى منظمة اليونيسكو إلى إدراج فن "الباتيك" باسمها، رغم إصرارها على أنها شريكة فيه، فقد اتسمت بالهدوء حتى الآن. حيث وصف مسئولوها ما قامت به جاكرتا بالأعمال غير المبررة. وما قام به الاندونيسيون من تظاهرات قرب أمام السفارة الماليزية في جاكرتا بالعمل الاستفزازي الطفش، مضيفين بأن جيرانهم تنقصهم الكياسة والسلاسة في التعبير، ويتجاهلون عمدا أن الثقافات تقتبس وتنتقل عبر الحدود.

غير أن مراقبين كثر أجمعوا على أن ما حدث بعكس ما يختفي تحت علاقات البلدين الطبيعية من مرارة وتوتر بفعل أحداث سيكاسيه قديمة، أو بفعل عوامل اقتصادية مستجدة. فالذين عاشوا حقبة الستينات يتذكرون حملات التهديدات والوعيد الراديكالية ذات الطابع الإيديولوجي التي أطلقها الرئيس الاندونيسي الأسبق سوكارنو ضد الاتحاد الماليزي بمجرد قيامه، وكيف أنه لم يتردد في وصفه بالكيان العميل للغرب، ونعت أول رؤساء الحكومات الماليزية، وهو تنكو عبدالرحمن بصنيعة الاستعمار والرأسمالية.

وحينما صمدت وازدهرت ماليزيا في مقابل تضعضع سلطة سوكارنو وانتهاء حقبته، وانحدار اندونيسيا اقتصاديا نحو الهاوية، برزت خلافات من نوع آخر ما بين الجارتين اللتين تجمعهما قواسم مشتركة كثيرة على رأسها اللغة والدين. حيث أدى التخلف النسبي للاقتصاد الاندونيسي، مقابل رخاء ماليزيا و تفوقها (متوسط دخل الفرد الماليزي في السنة يبلغ 14800 دولار أي أعلى من مثيله الاندونيسي بأربع مرات) إلى هجرة مئات الآلاف من الاندونيسيين إلى ماليزيا بطرق شرعية وغير شرعية بحثا عن العمل (تقول الاحصائيات الرسمية انه يوجد اليوم نحو 500 ألف عامل اندونيسي في ماليزيا، يعمل جلهم في الوظائف التي يأنف منها المواطن الماليزي، وان 27 بالمئة من هؤلاء هم من خادمات المنازل). وبحسب جاكرتا فان مواطنيها هناك يتعرضون للتمييز و المعاملة القاسية ويعيشون أوضاعا مزرية ولا يتالون إلا أجور زهيدة، وتدعي جاكرتا، أنه لهذه الأسباب مجتمعة، فان سفارتها في كوالالامبور تستقبل شهريا كالاجئين أعدادا تتراوح ما بين 150- 200 من العمالة المضطهدة. بعيدًا عما سبق تشكلت منذ أوائل الألفية الجديدة بؤرة توتر إضافية في علاقات البلدين، مصدرها أعداد المتشددين الإسلاميين الذين يلّوذون من ماليزيا لارتكاب الأعمال الإرهابية فوق الأرض الاندونيسية، على نحو ما فعله التالبزيان "زهري حسين" و "نور الدين محمد توب" اللذين تمكنت جاكرتا بشق الأنفس من قتلهما في تاريخين منفصلين بعدما شاركا في أعمال قتل وتفجير عديدة. غير أن كوالالامبور أيضا غاضبة من جاكرتا للأسباب نفسها، حيث أنها كثيرا ما اكتشفت في مداهماتها الفجائية للأحياء التي تقيم بها العمالة الاندونيسية، وجود عناصر ذات صلة بشبكات الإرهاب العالمي، فعاملتها بقسوة طبقا لقوانين الأمن الداخلي المتوارثة منذ زمن الاستعمار البريطاني، الأمر الذي حدا بالاندونيسيين للشكوى مرارا.

ولعل أفضل دليل على ان الثقة ما بين الجارتين الآسيويتين باتت مفقودة أو وصلت إلى أدنى درجاتها منذ عقود، هو أن زيارة النائب الأسبق للرئيس الاندونيسي "تراي سوتريسنو" إلى كوالالامبور في 8 سبتمبر الماضي والتي سبقت قرار منظمة اليونيسكو آنف الذكر، وذلك بهدف الاجتماع برئيس الحكومة الماليزية "نون نجيب رزاق" للتوصل إلى كيفية التنسيق للاستفادة المشتركة من الأيقونات الفنية والتراثية والثقافية للبلدين دون الدخول في صراع على أحقية تملكها، فشلت حينما وصل النقاش إلى موضوع توظيف المنتج الثقافي في الترويج السياحي.

الشيخ ماجد الماجد

الهملة تشكو حالها

مع ما تزينت به الهملة بالملعب الرياضي عند مدخلها، بحيث يتراءى لزائرها من مسافة طويلة تراقص أنوار الملعب الساطعة، لتأخذك بزهوتها مفاخرة جميع القرى بسحر الشباب وهم يمارسون الرياضة على اضاءات انجاز حيوي يتطلع إليها نظراؤهم من باقي القرى.

ولأن يمنعني استخدام الأمثال بما لا يليق خاصة حين يكون في غير محله، ولكني اعتقد ان هذا المثل المعروف يوضح صورة الحال في قرية الهملة، إذ ينطبق عليها المثل القائل: «محسود الفقير على موتة الجمعة» إذ يحتوي على شرح مختصر لواقع هذه القرية التي تشكو حتى المسحة الجمالية لما تم انجازه من بيوت إسكانية، إذ لم يسعف وزارتا الإسكان والبلديات إضفاء روعة جمالية لمداخل القرية، وذلك بإيجاد دوارين واحد من الجهة الجنوبية وآخر شمالا، بما يوحي للجميع من أهالي القرية ان المشروع الإسكاني أزاح عن وجه قريتهم البؤس الذي عانوه طويلا.

قائمة مطالب الهملة تطول، بما يوحي تعدادها إلى ما هو مرتكز في أذهان أهلها ان قريتهم مهملة، مع ما يمتلك شبابها من طموح وإصرار لتغيير واقعهم، وتحسين الوضع العام لقريتهم، ليزيحوا الصورة التي لحقته سنينا عديدة، فهم ينافسون اليوم الفرق الرياضية التي تكالبت على هزيمتهم بالأمس، بما يجعل الجميع أخذهم بالحسبان، وفي المجالات التعليمية تسابق الفتيان من الجنسين على مقاعد الجامعات، مكملين جهود آبائهم الزراعية التي أينعت الأرض بسواعدهم التي لم تعرف الكلل يوما، إنها عزيمة الشباب البحريني الذي لا يعرف اليأس.

امتازت الهملة بطيبة أهلها نتيجة ارتباطهم بالفلاحة. فاصطفت أراوحهم بسهولة أرضهم الخيرة، التي قنعت بالموجود نتيجة بساطة الحياة المعتادة، وحين ترتفع الأصوات من الهملة مصرين على إعادة تأهيل قريتهم المفتقرة إلى الخدمات العامة بما يتناسب مع واقعهم اليوم، من رصف الشوارع وعمل المجاري، إنما يذهبون إلى أبلغ القول إن وزارتي الإشغال والبلديات تحرمنا من الاطلاع على أجندة وخارطة عملها للقرية حسب التواريخ، وهذا ما يزيد الطين بلة.

إن التطلعات المشروعة لأبناء الهملة تأتي في سياق التطلعات العامة لأهالي المنطقة كافة، وهي لا تحتاج إلى طول تفكير من قبل المسؤولين، إنما يحتاج إلى إرادة قرار، لما نعتقد من حرص الجميع على النهوض بالوطن وإزاحة المواطن، فكل قرية تمثل للبحرين رصيدا زاخرا بالفخر والعزة، بما يكنه الجميع من حب وإصرار لرفع اسم الوطن عاليا، وهذا ما يتجلى في تأكيد الفعاليات الشبابية والأهلية بتبني المطالب الاجتماعية والمعيشية كل من منطلقه ومنطلقته، وان وصمها البعض بالمطالب السياسية يريد بها المعرة والمسبة، ولكن اغلب مطالب الناس اجتماعية ومعيشية، وان تلونت في بعض الأحيان بشعارات سياسية، ولكنها في الحقيقة شؤون خدماتية بالدرجة الأولى، تطورت بمرور الزمن إلى شعور بالغبن بما رفعت من وتيرة الإصرار عند شباب كل منطقة.

فما أحوجنا إلى تظافر أهلي وحكومي إلى وضع النقاط على الحروف، ملتفتين إلى المنطقة الغربية بما تمثله من حالة تحتاج إلى معالجة عمرانية نستعيد بها الأمن والتنمية لآلاف المواطنين.

أسرة الأدباء (1) الفضاء التاريخي

بدر عبدالملك

أتاح صدري كثيرا ليس الاحتفاء باريعينية تاسيس أسرة الأدباء والكتاب البحرينية وحسب، بل وبجعل هذه السنة سنة مميزة للأسرة من حيث الفعاليات الممتدة لستة شهور متواصلة. وإذا كان من حق وفرحة الشعب البحريني أن يعيش كرنفال تلك الشهور الستة، فإننا نحن الجيل الشاب، الذي كان قريبا لندوات الأسرة في بداياتها أو قريبا للغاية لمبدعيها الشباب، فرحة مختلفة، حاشى والجزء الكبير منهم كان على تماس بالحياة السياسية والحزبية، فلا يمكن أن ينتج يومها مبدع شاب عملا أدبيا دون المرور بتلك البوابة "بوابة الجحيم أو الفردوس". لهذا سأحاول أن أكون منصفا لتاريخ الأسرة، ليس الإبداعي والثقافي ولكن السياسي أيضا، فهي مثلت ضمير الشعب وروحه في حقبة من حقب المواجهة مع الاستعمار وما بعده، ووصلت من اجل مشروع الحرية وحرية التعبير التي بدونه يصبح الإبداع مسجونا في قفص الرعب والخوف والملاحقة.

وإذا ما كان للأسرة اليوم فخر واعتزاز بمسيرتها ومشاركتها في التحولات، فان ذلك يعود للجيل الشاب الأول، والذي اصابته مصائب الأسرات لتلك المظلة الثقافية، لكونها كانت على تماس بالسياسي اليومي والفكري التقدمي، حيث تميزت البحرين من داخلها بالهيب المرحلة، مثلما تميز المحيط الجغرافي العربي والعالمي بغليان ثوري وتحرري، ولن يستطيع فصل الكاتب رأسه عن جسده، فقد اقتنع يومها ان المسارين متلازمان، حياته الإبداعية وقراءاته مع تلك البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية، تلك البيئة التي تفجرت مساراتها السياسية والثقافية مع بداية الستينات. وتتوجت مع أحداث مارس، التي رفعت في بياناتها ومطالبها عودة المكاسب التي عرفتها البحرين منذ فترة الهيئة، ومن ضمنها عودة الصحف والصحافة.

وإذا لم تتحدث عن الفضاء والأرضية، فان الأسرة تصبح مجرد مصباح كهربائي معلق في زقاق ضيق لا ينفك للشارع الصغير إلا ضوءا باهتا ومحدودا، ولكنه بالتأكيد سيعبر من ذلك النفق الطويل والمظلم بثقلياته وقسوته، حتى وجدنا أنفسنا مع المشروع